

تعدد التوجيه الإعرابي

(كلمة آية بين الابتداء والخبر)

﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة يس: ٤١].

اختلف المعربون في كلمة (آية)، فأعربها بعضهم مبتدأً خبره المصدر المؤول (أنا حملنا)، وأعربها آخرون خبراً مقدماً والمصدر المؤول (أنا حملنا) مبتدأً مؤخر، وأرى أن تعرب مبتدأً لسببين:

الأول: "القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير" (١)، ومسوغ الابتداء بالنكرة (آية) هو الوصف المخصّص له بعده (لهم) (٢).

الثاني: السياق، حيث بدأت سورة (يس) بقسم الله تعالى بالقرآن على أن محمداً صلى الله عليه وسلم من المرسلين الذين أرسلهم الله للإنذار والتبليغ والدعوة إلى الإيمان بالله وعبادته وحده، ثم بضرب المثل وهو قصة أصحاب القرية الذين كذبوا الرسل فأخدهم الله بصيحة واحدة، ثم بعرض بعض الآيات والعلامات التي تتحدث عن وجود الله وأنه لا معبود بحق إلا هو سبحانه وهي:

- ﴿الرَّيُّوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يس: ٣١]
- ﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَلْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس: ٣٣]
- ﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَلَيْلٌ نَّسَلْخُ مِنْهُ النَّهَارَ فِإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [سورة يس: ٣٧]
- ﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة يس: ٤١]
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ [سورة يس: ٧١]
- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة يس: ٧٧]

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين الحري: ١٠٠/٢

(٢) نحو: رجل من الكرام عندنا، انظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: ٢٠٤/١

فالسباق هنا يبين لنا أن (آية) هي المبتدأ، وأنها محل الاهتمام؛ لأن المعنى هو عرض الآيات والإخبار عنها وليس الإخبار عن كون الأرض آية والليل آية وحمل الذرية في الفلك آية! لذلك لابد من تطابق المعنى الإعرابي مع المعنى السياقي، وترادف معنى الجملة مع معنى النص، ومد النظر التدبري عند تعلم كتاب الله.

